الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ذكرى اقبال :

دعت السفارة الباكستانية إلى الاحتفال بذكرى الشاعر الفيلسوف المغفور له الدكتور محمد إقبال ، في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية يوم الجمعة الماضي . ولم يكن هذا الاحتفال قاصرا على اخواننا الباكستانيين في مصر ، بل كان في أغلبه احتفال مصر بالشاعر الاسلامي الكبير ، على أنه كان أوسع من ذلك إذ اشترك فيه أحد المستشرقين وهو الأستاذ داود كاون الذي قال إن إقبال لم يكن شخصية إسلامية كبيرة فحسب بل كان شخصية عالمية ..

افتتح الحفل — بعد تلاوة من القرآن الكريم — سعادة السيد عبد الستار سيت سفير الباكستان فرحب بالحاضرين والمشتركين في الاحتفال وأشاد بصاحب الذكرى وفضله في العمل على قيام دولة الباكستان . وأعقبه سعادة الأستاذ ابراهيم دسوقي أباظة باشا بكلمة طيبة قال فيها إن الباكستان ولدت بفتة على يدي بطل من أبطال الإسلام هو شاعرنا العبقري محمد إقبال . وقد ولدت هذه الدولة كبيرة بفضل رجالها الذين جاهدوا في سبيل إنشائها وعلى رأسهم إقبال ، ونحن إذ نكرمه فإنما نفعل قياما بالواجب نحونا ، إذ أننا حين نكرم هذا الرجل العظيم فإنما نقدمه للشبان أسوة حسنة ، فقد كان ذا هدف شريف وهو العمل على رفعة الإسلام .

وألقى الأستاذ مظهر سعيد كلمة عن فلسفة إقبال قال فيها إن هذه الفلسفة مزيج من الفلسفة الغربية والفلسفة الإسلامية وإنها ترمي إلى الخير والكمال في ظل الاسلام . وألقى الدكتور ابراهيم ناجي قصيدة جيدة مطلعها :

حيا وميتا قلدوك الفارا ما أروع الأيام والتذكارا

وتوالى بعد ذلك خطباء وشعراء منهم الشيخ الصاوي شعلان الذي ترجم كثيرا من شعر إقبال من الأردية والفارسية إلى العربية ، وكان فضله في ذلك ظاهرا ، إذ كان كل ما استشهد به الخطباء مما ترجمه هو والأستاذ محمد حسن الأعظمي واختتم الاحتفال بكلمة الدكتور حسين الهمداني الذي قال إن الشكر على المشاركة في إحياء هذه الذكرى ليس لي فقد سمعتم من الخطباء والشعراء أن شاعرنا الفيلسوف لم يكن شخصية محلية ، لقد كان جزءا من التراث الذي قدمه المسلمون للعالم

وقد أصدر قسم الصحافة بالسفارة الباكستانية عددا خاصا بالشاعر محمد إقبال من مجلة « رسالة الباكستان » التي تصدر بالقاهرة . وأذاع راديو كراتشي برنامجا خاصا بهذه الذكرى . وقد استطعنا مما نشر وأذيع عن إقبال وما ترجم من أشعاره إلى العربية أن نقف على كثير من حياته واتجاهه الفكري ونستمتع بنفحات شاعريته ، ومما يذكر أيضا أن الأستاذين الشيخ الصاوي والأعظمي قد أنجزا كتابا عنوانه « فلسفة إقبال » نقلا فيه إلى العربية ديوان إقبال ، والكتاب على وشك الظهور . ولاشك أن هذه الجهود كلها تضيف إلى الأدب والثقافة والمكتبة العربية الحديثة أقباسا منيرة من ذلك الأفق المشرق.

ولد محمد إقبال سنة ١٨٧٣ في أسرة براهمية بقرية لوهار بكشمير ، وقد اعتنق أحد أسلافه الدين الإسلامي وأصبحت الأسرة بعد ذلك أسرة إسلامية وتعلم إقبال في المكاتب والمدارس الهندية حتى أتم دراسته بكلية الحكومة بلاهور ، واتصل فيها بالمستشرق توماس أرنولد أحد أساتذتها إذ ذاك . ثم رحل إلى أوربا سنة ١٩٠٥ قاصدا كمبردج ثم هيدلبرج بألمانيا ثم ميونخ حيث حصل على الدكتوراه برسالة موضوعها « تطور الفكرة العقلية في إيران » وعاد إلى وطنه في سنة ١٩٠٨ . ولم يلتحق بخدمة الحكومة لضعف بصره ، فوجه جهوده إلى الانتاج الفكري الحر ، حتى توفي سنة ١٩٣٨ .

كان إقبال شاعرا وفيلسوفا ، ولكنه لم يكن من أصحاب الأبراج العاجية ، بل كان شاعرا بآلام قومه وآمالهم ، وكان فيلسوفا ينظر في أحوال أمته ويعالج شؤونها ويخط لها طريق المستقبل الزاهر ، يجمع شعره بين الأهداف السامية والاجتماعية

وبين المتعة الفنية والغناء الشعري كان يتغنى بمآثر الإسلام وأمجاد المسلمين فيطرب الأسماع ويذكي الحمية ويشعل نار الهمم، وكان يقرع الأعداء بعضب قوله فاذا أغراضهم في إذلال البلاد الاسلامية تنكشف وتتهاوى، وإنما تبعث الأمم المغلوبة على أمرها بالتنوير والتنبيه والتحذير في أول الأمر، وبعد ذلك يفعل الرأي الحازم المستنير كل شيء.

نظر إقبال فرأى الأوربيين يعيشون في صراع وتتكالب على المادة، ونظر أيضا فرأى تواكل المسلمين وجمودهم، ولاحظ مع ذلك اتجاه هؤلاء إلى الثقافة الأوربية، فلم يجد في ذلك ما يخشاه إلا أن يؤخذ بالظاهر البراق دون النفوذ إلى الجوهر الصحيح — نظر إلى ذلك ثم ناشد المسلمين أن يرجعوا إلى دينهم ليتأملوه من جديد في ضوء الفكر الحديث كي يقيموا حياتهم على أسسه الروحية العملية

ومن أسرار عظمة إقبال أنه اغترف من الثقافة الغربية ما انتفع به في تعزيز مقوماته الأصلية، ولم يجر وراء الغربيين يأخذ عنهم كل شيء ويزدري قومه كما يصنع كثير مما رأيناهم فتنوا بذلك السراب، وإنما رجع إلى قومه بما يفيدهم من تلك المدنية والثقافة على أن يبعثوا من إمكانياتهم الكامنة ما يوجههم وجهة أجدى على الحياة الإنسانية مما يشاهد في الغرب من اندفاع نحو الأنانية والصراع المادي.

وهاك شيئا من نفحات تلك الشاعرية في هذه القطعة التي ترجمتها عن الأردية وهي من الترجمة المنظومة التي قام بها الشيخ الصاوي شعلان:

إن الذي لم يدر أنات المساء
ولم يسامر عينيه نجم السما
ولم يحطم جام قلبه الأسى
ولم ينر ظلام ليله البكاء
والسادر اللاعب طول عمره
لم يستمع إلا إلى عذب الغناء
والعاشق المحروم في غرامه
من لوعة الذكرى وحسرة الجفاء
ويجتني الزهر الذي لم تختضب
يداه في الشوك بحمرة الدماء
جميع هؤلاء مهما سعدوا
من نعم الحياة بأمن ورخاء
فان أسرار الحياة تختفي
عنهم وهم عنها دواما في اختفاء

مهرجان الأدب الشعبي

أقامت الجامعة الشعبية يوم الأحد الماضي مهرجانا ثانيا سمته «مهرجان الأدب الشعبي» ولعل القراء يذكرون ما كتبت عن مهرجانها الأول، وكان مما لاحظته فيه أن بعض الخطباء

كشكول الأسبوع

□ أبحر يوم السبت الماضي من الاسكندرية، معالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف، قاصدا إلى فرنسا وإيطاليا في رحلته الثقافية التي سيبدؤها بافتتاح محاضرات كرسي «محمد علي باشا الكبير» بمعهد البحر الأبيض المتوسط في مدينة نيس بفرنسا. وسيرأس معاليه وفد مصر في مؤتمر اليونسكو الذي سيعقد في مدينة فلورنسا بايطاليا في ٢٢ [illegible]

□ أعد معالي وزير المعارف مذكرة لمجلس الوزراء يطلب رفع مكافآت أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية من ١٠ الى ٢٠ جنيها في الشهر.

□ استقبل معالي وزير المعارف سعادة حسن فائق باشا وكيل الوزارة السابق، في اجتماع عقد لتنظيم الجوائز التي رأى كبار رجال التعليم تخصيصها للطلبة المتازين باسم فائق باشا تكريما له وتقديرا للجهود التي بذلها للتعليم ورجاله. والجوائز تحصل من ريع أسهم اشتريت وخصصت لهذا الغرض بدلا من إقامة حفلة تكريم.

□ كان قد وضع برنامج في إدارة النشاط الاجتماعي والرياضي بوزارة المعارف، يقضي بتنظيم رحلة من الطلبة لزيارة بعض البلاد العربية للأغراض الاجتماعية والثقافية التي تتوخى من مثل هذه الرحلة. ولكن مراقب الإدارة الجديد كتب مذكرة اقترح فيها أن تكون الرحلة إلى اسكندرية ... لأن الطلبة المصريين قد شبعوا من البلاد العربية! ولما عرض ذلك على معالي الوزير استنكره وسأل المراقب: من هم الذين شبعوا من البلاد العربية؟ وإذا كان هناك من شبعوا فلماذا لا يسافر غيرهم؟ ولماذا اختارت اسكندرية؟ ومن عندك يريد أن يسافر إليها؟ إلى آخر هذه الأسئلة التي غرق فيها المراقب ولم يستطع لها جوابا.

□ أهدت أسرة المغفور له الأستاذ علي محمود طه مكتبة الفقيد إلى دار الكتب الفاروقية بالمنصورة، وقد قرر مجلس بلدية المنصورة المشرف على دار الكتب شكر الأسرة، وكتب بهذا الشكر إلى شقيق الفقيد، كما قرر المجلس اطلاق اسم الشاعر على شارع الفصاوي بالمنصورة، وهو الشارع ولد فيه.

□ صدر في العراق أخيرا ديوان «ملائكة وشياطين» للاستاذ عبد الوهاب البياتي، وهو يغني فيه بألحان صادرة من أعماق نفسه، فيطرب ويعجب.

□ أشرنا في الأسبوع الماضي إلى استقالة يوسف وهبي بك من الفرقة المصرية. ونذكر الآن أن هذه الاستقالة جاءت على أثر إبداء الرغبة فيها من جانب أولي الأمر، وذلك لتعديل الفرقة وتكوينها على أسس جديدة تكفل قيامها بالرسالة الفنية الخالصة المرجوة من فرقة ترعاها الحكومة وتعمل على مسرح الأوبرا الملكية.

تناولوا موضوعات داروا فيها حول الروح الشعبي والديمقراطية في الأدب ، وقلت إنه كان ينبغي أن يكون للمهرجان موضوع أو فكرة يدور حولها . وفي هذه المرة أسجل للمشرف على الدراسات الأدبية في الجامعة الشعبية وهو الأستاذ علي الجمالاطي فضله ، من حيث أثبت أنه ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، فقد جعل لهذا المهرجان محورا هو «الشعبية» وأضافه إلى الأدب الشعبي . وقد قال الأستاذ في افتتاح المهرجان إن روح الاتجاه إلى الشعب قد أصبحت تسود الآداب في العالم الحديث ، وإن الأدب لحقيق بذلك ، فإن كان للخواص عقول تدرك فإن للعامة قلوبا تحس . ثم قال إن هذا البرنامج يقدم أدبا عاميا . وقبل أن أناقش موضوع المهرجان ننظر في البرنامج .

كان من المقرر أن يبدأ البرنامج بموضوع للدكتور أحمد أمين بك عنوانه «في الأدب الشعبي بلاغة» ولكننا أسفنا لمرض الدكتور وتخلفه عن الحضور ، شفاه الله وعافاه . وقد ألقى الأستاذ كامل كيلاني كلمة بعنوان « الفكاهة في الأدب الشعبي » تناول فيها شخصية جحا وفكاهاته أو فلسفته الفكاهية وساق بعض نوادره ، وجحا — كما حقق الأستاذ الكيلاني — شخصية ذات سمات خاصة ، وهي مكررة في كثير من الأمم ، فجحا العرب هو أبو الغصن دجين بن ثابت ، نشأ بالكوفة وعاصر أبا مسلم الخرساني ، وقد علم بأمره أبو مسلم فاستدعاه ، فأراد جحا أن يتباله أمامه لينجو من أذاه ، وكان مع أبي مسلم رجل اسمه يقطين ، فنظر إليهما جحا وقال : أيكما أبو مسلم يا يقطين ؟ أما جحا إيرلندا فقد كتب إلى صاحبته يقول لها : إنني سيء الظن بالبريد فلست واثقا من وصول كتابي هذا إليك . فإن لم يصلك أرجو الإفادة ! وأما جحا انجلترا فهو جورج الذي عزم على أن يقلع عن شرب الخمر فامتنع عنها أربعة أيام ، ثم جعل يمشي حتى كان أمام خمارة ، فوقف يخاطب نفسه : مرحى ياجورج ! لقد أمضيت أربعة أيام دون أن تذوق خمرا ، إنك تستحق كأسا مكافأة لك ! ثم دلف إلى الخمارة !

وتحدث الدكتور عبد الحميد يونس عن « ملاحمنا الشعبية » فقال إن النقاد ومؤرخي الأدب درجوا على القول بأن الأدب العربي خال من الملاحم والقصص التمثيلية ، إذ قال المستشرقون ومن تابعهم من العرب : إن أدب غنائي كله ، والواقع أن في هذا القول خطأ جاء من أنهم لم ينظروا إلى الأدب العربي نظرة تشمل اللهجة الشعبية التي أنشئت بها قصة « سيف بن ذي يزن » و « عنترة » وسيرة بني هلال ، وغيرها ، وقد نشأ هذا اللون من الأدب عندما شعرت الأمة بتغلب العناصر الأجنبية عليها ، فلجأت إلى البطولة المستمدة من تاريخها لتشبع اعتزازها وكرامتها . وقد بين الدكتور عبد الحميد خصائص هذه الملاحم وفن المنشد الذي يسمى (الشاعر) في التعبير عن معانيها ، وخلص من هذا البحث القيم إلى أنه يجب الرجوع إلى هذه الملاحم ليتخذ منها — بعد التعديل والتهذيب — فن تمثيلي مستمد من البيئة قائم على تلك الشل ، وأعقبه المنشد الشعبي سيد فرج السيد فأنشد على الربابة موقعة من مواقع أبي زيد الهلالي مع الزناتي خليفة ، وقد أطرب ونال الاعجاب بتعبيره القائم على تنغيم الصوت في مواضعه ورفعه وتشديده عند الحديث عن الشجاعة ومعاني العزة . والواقع أن هذا فن جدير بالاحياء «والتطوير» فهو من الفنون الجميلة المعبرة ، ولو أنه جاءنا من أوربا لكان له شأن آخر !

وكانت بقية البرنامج أزجال ، وهي طبعا أدب عامي ، ولكن بحث الدكتور عبد الحميد يونس وموضوع الأستاذ كامل كيلاني ، ليسا من الأدب العامي ، وإنما تحدثا عن ألوان شعبية حديثا أدبيا فصيحا — وقد عقب الأستاذ مظهر سعيد في نهاية المهرجان بأن المؤسسة (الجامعة الشعبية) قامت في هذا المهرجان بحق الأدب الشعبي كما قامت في المهرجان السابق بحق الأدب العربي الفصيح ، ونعت الأول بأنه أدب الأمة ، والثاني بأنه أدب الخواص ...

وبعد فهل الأدب الفصيح لا يعبر عن الأمة ؟ وهل اتجاه الأدب إلى الشعبية معناه اتخاذ العامية لسانا له ؟ إنني لا أنكر بدائع الأدب الشعبي العامي ، ونحن نقبلها على أنها نوع من القول المعبر لا بأس به ، ولاشك أن فيها كثيرا مما يعجب ويمتع ولكن ليس معنى هذا أن الاتجاه الشعبي في الأدب طريقه العامية وليس الأدب الفصيح قاصرا عن التعبير عن الأمة . وإلا ففيم هذه الجهود التي تبذل بالتعليم وبالتأليف وبالصحافة وغيرها لتعميم اللغة العربية بين أفراد الشعب ، تلك الجهود التي لا تخفى ثمراتها . فنحن إذن نتجه إلى هدف لغوي هو اتخاذ اللغة العربية الفصيحة لسانا معبرا عن الأمة ، وقد يسرناها بالوسائل الحديثة حتى صارت «شعبية» محبوبة ، ومن هنا يجب أن تكون الشعبية غير العامية ، كما أنها — ولابد — غيرها في تسمية « الجامعة الشعبية » أو « مؤسسة الثقافة الشعبية » .

عباس مضر

٣٤ . ٣٧